بسم الله الرحمن الرحيم

و به نستعين

و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه و سلم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية

كلية اصول الدين

مخبر العقيدة و مقارنة الأديان

ملتقى القيم الجمالية للنص التربوي في الفكر الاسلامي الغرب الاسلامي

العنوان : الجمال بين قراءة الفقيه و الصوفي.

المنعقد بتاريخ : 2024/11/05 م

- د مروان معزي استاذ محاضر .
- marouanemaazi@gmail.com

ملخص :

تعتبر فكرة الجمال من بين الموضوعات التي أخذت حيروا في الدراسات الاسلامية قديما و حديثا ، لكن نسبة المقرئية لهذا الموضوع لا تكاد تكون الا في نطاق المتخصصين في علوم التربية و الجماليات ، و قد ابتعدت عن الاطروحات التربوية الاسلامية منخلال المنابر المتعددة فنادر ما تجد من يشير الى هذا الموضوع رغم أهميته في تكوين الافراد و المجتمع.

و بالعودة الى موضوع الجمال في الفكر الاسلامي نجده مفردا بحيز لا بأس به من التعاطي بين الكثير من التيارات الفكرية الالسامية حتى المتصادمة بينها ، فقد رأينا حضور الموضوع عندهم على نطاق لا بأس

به، في حين انه أخذ مستوى رفيع عند الاخرين ، و هنا تتجلى لنا قيمية المنطلق و الاهتمام و تصدر موضوع الجمال في ذهنية المشتغيلن به.

في هذا الباب نجد من المشتغلين الفقهاء و الصوفية حصرا في هذه الدراسة ، و قد ارتأينا ان ننوع الشخصيات المدروسة بما يعطي انطباع تسجيل حضور الدرس الجمالي عندهم أساسا بالدرجة الاولى ثم صورة عامة حول تعاطيهم للدرس الجمالي، و اختيار الفقيه و الصوفي يكون من باب التقابل الظاهري بين المدرستين- او قل ان شئت التعارض الظاهري عند ما يشاع عند الكثيرين —و بذلك لا يكون المراد هو الفصل بين الصوفي و الفقيه ، بلالوقوف على النزعة الفقهية و الصوفية و طريقة تعاملها مع موضوع الجمال فقط، و غلا موضوع كهذا يتطلب منا الوقوف على الكثير من المصادر و تتبع المسارات و بذلك يخرج من كونه مقال الى مشروع موسوعة.

و بذلك موضوعنا يدور على خلفية محاولة تسليك الضوء بالاجابة على التساؤل التالي :

- **ما مدى حضور الدرس الجمالي في الكتابات الفقهية و الصوفية ؟**

و قد اخترنا أربعة شخصيات وهم ابن حزم و ابن القيم و ابن عجيبة و ابن عربي ، و ليس المراد التقابل ، بل مجرد عرض موجز لفكرة الجمال عندهم و مدى تأسس الفكرة بأن تكون موضوع جدير بالدراسة و التحليل.

و النتيجة التي يتوصل اليه الباحث هي ان موضوع الجمال و الحسن تم حضوره في الدراسات حضورا سجل له مكانة بين الموضوعات المدروسة، و أن كل من الفقيه و الصوفي ليسوا على نقيض من قبول فكرة الحال و إنما في طريقة المعالجة وهنا تظهر النزعة و الخلفية لكل دارس.

مقدمة :

أبدع المسلمون في النهل من آيات القرءان الكريم قديما و حديثا ، ففي جميع المذاهب الإسلامية سواء في صدر الإسلام أو التي تلته ،كان النص هو الموجه و الغاية ، و لهذا نجد النزوع إلى اتحاد المصدر و بسط سلطته في الدراسات الإسلامية ، لكن المعالجة و النظرة و الاستنتاج كانت متعددة قد تختلف و قد تتشابه ، و ما ذاك إلّا لاختلاف الخلفية التكوينية و المنطلق الابداعي ، و الرؤية حول مقاصد النص و تجلياته.

ففي حين يشغف **اللغوي** بجمال الألفاظ و التراكيب و أبواب الاستعارة و التعاطي مع الحس اللغوي في سياقات التعبير و أصول الحامل و المحمول.

يتصدر **الفقيه على ظاهر النص** متبعا المقاصد و طرق الاستدلال للخروج إلى المتلقي **بمنطق التنفيذ،** و يراه من مسالك إثبات تمام العبودية.

يظهر **الفيلسوف** على مستويات الادراك و تألق النفس و المادة في الخطاب، باعتبار تمثلات **العقل** في صحة التكليف.

يأتي دور **الصوفي** مثقلا بهموم الوجد و الحال، خالعا أنماط الإشارة و الذوق إلى توظيف لغة لقراءة لغة لا تفهم إلّا من خلال الروح و التجربة.

دون أن ننسى **المتكلم** حينما يتألق في قراءة النفس و الروح و الجسد ، الانسان و الحيوان و باقي المسائل.

و بين ذاك و ذاك تخللت القراءات وفقا لرؤى متباينة تارة و متقاربة مرات ، لكن الذي يجمعها هو حضور الرؤية للفكرة و تمامها .

من أهم المواضيع التي تمت معالجتها وفقا لما سبق نجد فكرة الحسن و **الجمال** و تجلياته و صوره من خلال الخطاب القرءاني، و ستقتصر دراستنا على نموذجين من الأطروحات محاولين انتزاع الموقف من فكرة الجمال رؤية و تأسسا و تفعيلا من خلال النصوص القرءانية، و هذان الموقفان هما : " **الفقيه و الصوفي**. " .

و بالتالي التساؤل يكون :

- ما هي رؤية الفقيه و الصوفي لآيات الجمال.
- ما هي آليات القراءة و مرجعيات الفهم، و مآلات الخطاب .

و سبب الاختيار أولا ليس للتفرقة بين الفقيه و الصوفي ، فغالب الفقهاء صوفية سلوكية ، لكن هو بحث في مستويات التعاطي مع الظاهرة الجمالية في نفوس المشتغلين بالفقه و التصوف كطبع غالب على اهتماماتهما على نطاق واسع على خلاف الرؤية الفلسفية أو الكلامية التي تتسم بالانحيار النخبوي إن صح التعبير، و إن كنّا نرى اجتماع الفقيه و الصوفي و المتكلم في شخصية واحدة باعتبار منهج التكوين و هو ظاهر جلي من خلال علماء المذاهب الأربعة في العموم و لا أدل عليه من قول ابن عاشر عقد الاشعري و فقه و مالك و طريقة الجنيد السالك.

- **أولا : الجمال في تاريخ العلوم الإسلامية :**

هل تعرض المسلمون لفكرة الجمال بالدراسة أم أنهم ألغو فكرة الجمال و مظاهره و تجلياته من الأدبيات الخطابية عندهم .

الاجابة على هذا نجدها مبثوث من خلال كتب المتقدمين ، و لا عيب لهؤلاء الائمة إن انقطع تلامذتهم و أتباعهم عن التخلي أو الاقتصار على مجالات محددة من اجتهاداتهم في نطاق المطلوب ،أو الاقتصار عنه في مجالات معينة .

تتحكم في أهل العلوم تداخلات فكرية و علمية بسبب التكامل المعرفي خاصة بعد القرن الأول من تاريخ الإسلام ، فقد احتك المسلمون بالكثير من الثقافات و غيرها ، مما شكل نبات جيل جديد مبدع في القراءة و أفق التطلع و الاستشراف[1] ، فكانت المنطلقات حول الرؤية الجمالية التي هي موضوعنا تحوم حول **الرؤية التوحيدية** بالدرجة الأولى باعتبارها غاية العلوم و الفكر الإسلامي، و يضاف اليها **الوحدة في نظام العالم** باعتبار قيامها على التوازن و التناسب و الانسجام.[2]

لم يتغافل الفقيه أو الصوفي عن آيات الجمال فقد سهر كل منهما على تفكيك معانيها و محاولة قراءتها في سياقات ورودها كل من مكانه و منطلقه.

لقد تحدث ابن حزم عن الجمال و تجليات الحب و الذوق و هو الظاهري العنييد، و ما كتاب طوق الحمامة إلّا صورة من صور ذاك التعلق بالحب الإيجابي و رؤيته للجمال و مكوناته.

كما تحدث ابن القيم و هو الحنبلي و الذي لا يقل عناداً من ابن حزم في الاستماتة عن الدفاع عن مذهبه، تحدث عن الجمال الظاهر و الباطن ، و الجمال الباطن هو المحبوب لذاته و يعني العلم و العقل و العفة ، و هي محل نظر الله من عبده و موضع محبته.

و تحدث ابن عربي و ابن عجيبة من المتصوفة ومعهم السهروردي و غيرهم عن الجمال و تجلياته و دور الذوق و الروح في ملامسته المادية و المعنوية .

و لا يمكن ان ننسى الفقيه كذلك فهو صاحب ادراك و رؤية و ممارسة .

---

[1] – و هذا لا يعني أن السابقين من اهل العم لم يكونوا مبدعين في القراءة و الاستشراف ، لكن الزمن يلعب دور مهم في تطور و انتاج تخصصات و تأثيراتها على باقي العلوم.

[2] – مدخل الى علم الجمال . ص 14.

كل هذا لا يقودنا إلا إلى تثمين المنطلقات و التأسيسات التي ابدعت لنا ما يسمى وعيا و ادراكا و ملامسة للجمال أو قل **الوعي الجمالي المستنبط من خلال النص و القراءة و الآفاق** .

لقد نَشَّطت لنا مختلف توجهات القراءة و التوجيه: لُغويين، فقهاء ، مفسرين ، و صوفية، أدركوا بطبيعة الحياة و ضرورية التجليات الجمالية كصورة من صور من الحضارة ابتداء من الروح الى السلوك الى العمران الى التنظيم ، لقد تألقت دمشق و ما جاورها و الاندلس وعمرانها ، و كل بلاد إسلامية على قطف ثمار الجمال بناء على الوعي الجمالي ، و كان نصيب كل مجتمع مسلم على قدر نصيب استهلاه من الوعي الجمالي .

وهذا ظاهر جلي من خلال تاريخ الشعوب و الحضارة، لا يحتاج الى تبيين و إنّما يحتاج إلى تفعيل و إعادة إدماج للعقل الجمال.

- **الجمال عند أصحاب النزعة الفلسفة:**

نجد الفارابي من اهم فلاسفة المسلمين، اتجه إلى تعريف الجمال بكونه : " **الجمال في كل موجود هو أن يوجد وجوده الأفضل و يبلغ استكماله الآخر " أو هو " حصول الشيء كماله اللائق به** "[1]

أما ابن سينا ": **فجمال كل شيء و بهاءه هو ان يكون على ما يجب عليه**".

- **الجمال عند الفقهاء:**

[1] – قسم علم الكلام في مجمع البحوث الاسلامية ، شرح المصطلحات الفلسفية ، دار البصائر ط1 1414، طهران ، ص 81,

في هذا المبحث نود الوقوف على ارضية الرؤية الجمالية عند الفقيه الذي يغلب عليه التعاطي الحديثي للوقوف على معيارية الدرس الجمالي عنده لبيان مصداقية – فكرة الجفاء من عدمها –كما تصورها بعض الدراسات ، و قد اخترنا نموذجين من أهم النماذج : ابن حزم و ابن القيم .

- **فكرة الجمال عند ابن قيم الجوزية[1]:**

يتجه ابن القيم رحمه الله تعالى الى تقسيم الجمال الى قسمين ، الظاهر و الباطن ، فالأول هو الجمال المحبوب لذاته أما الثاني فهو الظاهر كجمال بعض الصور و الهيئة.

على أن القسم الأول يتجه به إلى جمال العقل و مستلزماته لأنه به يعرف الله تعالى فهو من أهم أنواع المعرفة فهو معرفة الله بالجمال.

و جمال الله عند ابن القيم على أربعة مراتب[2]: جمال الذات، وجمال الصفات، وجمال الأفعال، وجمال الأسماء؛ فأسماؤه كلها حسنى، وصفاته كلها صفات كمال، وأفعاله كلها حكمةٌ ومصلحةٌ وعدلٌ ورحمةٌ.

وأما جمال الذات فهو غير مدرك و ليس للمخلوق منه سوى التعرف فجماله مَصُونٌ عن الأغيار، محجوبٌ بستر الرداء والإزار؛ كما قال رسوله ﷺ فيما يحكي عنه: "الكبرياء ردائي والعظمة إزاري" ،

قال ابن عباس: حجب الذَّات بالصفات، وحجب الصفات بالأفعال؛ فما ظنك بجمال حُجِبَ بأوصاف الكمال، وسُتِرَ بنعوت العظمة والجلال؟!

---

[1] و لمعرفة حقيقة الدرس الجمالي عند ابن القيم يرجى الرجوع الى كتاب : طريق الهجرتين، مدارج السالكين ، الداء و الدواء ، و نزهة المشتاقين . و كتابة الفوائد ، كنماذج.

[2] – كتاب الفوائد ابن قيم الجوزية ، تحقيق محمد عزيز شمس، دار عطاءات العلم الرياض ط4 1440،2019 من ص 2068الى 272

و لحصول المعرفة يترقى العبد من معرفة الأفعال إلى معرفة الصفات، ومن معرفة الصفات إلى معرفة الذات؛ فإذا شاهد شيئًا من جمال الأفعال استدل به على جمال الصفات، ثم استدل بجمال الصفات على جمال الذات.

فعلى العبد أن يعلم أنه لا إله إلا الله فيحبه ويحمده لذاته وكماله، وأن يعلم أنه لا مُحسِن على الحقيقة بأصناف النعم الظاهرة والباطنة إلّا هو، فيحبه لإحسانه وإنعامه ويحمده على ذلك؛ فيحبه من الوجهين جميعًا.

وكما أنه ليس كمثله شيءٌ؛ فليس كمحبته محبةٌ.

والمحبة مع الخضوع هي العبودية التي خلق الخلق لأجلها؛ فإنها غاية الحب بغاية الذُّل، ولا يصلح ذلك إلا له سبحانه، والإشراك به في هذا هو الشرك الذي لا يغفره الله ولا يقبل لصاحبه عملًا.

و يسترسل ابن القيم في تفصيل معنى الجمال و قرينه الحب ، يذكر رحمه الله تعالى أنه لمحبته سبحانه للجمال أنزل على عباده لباسًا و زينةً تُجمّل ظواهرهم و تقوى تُجمّل بواطنهم فقال: ﴿يَابَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيرٌ﴾ (الأعراف: ٢٦)، وقال في أهل الجنة: ﴿وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا (١١) وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً (١٢)﴾ (الإنسان: ١١ – ١٢)؛ فجمَّلَ وجوهَهم بالنضرة وبواطنَهم بالسرور وأبدانَهم بالحرير.

و الله عز و جل يحب الجمال في الأقوال والأفعال واللباس والهيئة كما يُبغِضُ القبيح من الأقوال والأفعال والثياب والهيئة؛ و بالتالي فهو تعالى يحب الجمال و أهله و يكره القبيح وأهله.

و يقر ابن القيم رحمه الله تعالى عن الاختلاف في هذا الموضع : فهناك من يتجه الى جمالية كل مخلوق محتجين بقوله بقوله تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيءٍ خَلَقَهُ﴾ (السجدة: ٧)، وقوله: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيءٍ﴾ (النمل: ٨٨)، وقوله: ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ﴾ (الملك: ٣).

و بذلك كانت النتيجة أن ما خلق الله إلّا الجميل فلا يجوز لنا بغض شيء من خلقه على حد قول القائل :

وإذا رأيتَ الكائناتِ بعينهم ... فجميعُ ما يَحوِي الوجودُ مليحُ

و هؤلاء بتوسعهم في ادراك الجمال و الاتجاه الى عدمية القبح عدمت معهم الغيرة لله تعالى من القلوب وإنكار المنكر والجهاد في سبيله وإقامة حدوده، و يَرى جمال الصور من الذُّكور والإناث من الجمال الذي يحبه الله، فيتعبدون بفسقهم، و ربما غالى بعضهم حتى يزعم أن معبوده يظهر في تلك الصورة ويَحُلُّ فيها، وإن كان اتحاديًّا قال: هي مظهر من مظاهر الحق، ويسميها المظاهر الجمالية، و كل هذا من فساد مفهومية الجمال و مدركاتها عندهم .

في حين توجه فريق آخر بناء على آيات من القرءان الكريم كقوله تعالى : (﴿وَإِذَا رَأَيتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ (المنافقون: ٤)، وقال: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا (٧٤)﴾ (مريم: ٧٤)﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَينَيكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾(طه: ١٣١).

و في حديث النبي صلى الله عليه و سلم : "إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم"[1]، وفي الحديث: "البذاذة من الإيمان"

و المنفي مما سبق هو نفي المحبة لا نفي الإدراك و قد تم تقريره شريعة فقد حرم علينا لباس الحرير والذهب وآنية الذهب والفضة، وذلك من أعظم جمال الدنيا، كما ذمَّ الله المسرفين، والسرف كما يكون في الطعام والشراب يكون في اللباس.

[1] - صحيح مسلم ،

و الاجمال هنا أن الجمال في الصورة واللباس والهيئة ثلاثة أنواع: منه ما يُحمَد، ومنه ما يُذَمّ، ومنه ما لا يتعلق به مدحٌ ولا ذمٌّ:

فالمحمود منه ما كان لله: كطاعة لله تعالى و إعلاء لكلمة الله تعالى كنظير الخيلاء في الحرب و غيرها.

أما ما يذم ما كانت فيه النية للدنيا و الافتخار و أن يكون هو مقصود لذاته بذاته كمقصد و مطلب و غاية .

و الثالث ففي ما لا يسبق إليه حكم الذم و الحمد و هو ما تجرد من الوصفين.

و النتيجة هنا عند ابن القيم: أن الله تعالى يُعرَف بالجمال الذي لا يماثله فيه أحد و يعبد بالجمال الذي يرتضيه الله تعالى من جملة الأقوال و الأفعال و سائر الاخلاق .

و مما يتخلق به سلوكا هو التجمل بالأخلاق و العبادة كما يترضيها الله تعالى ، فالتجمل بالإخلاص و المحبة و الجوارح بالطاعة و الانتهاء عما حرم، و المظهر بالتطهر عن النجاسات و القاذورات و بالتالي سبيل الوصول الى الله تعالى هو معرفته بصفات الجمال الذي هو وصفه تعالى و التعرف إليه بالأفعال و يعبده بالجمال الذي هو شرعه و هذا حصره العلماء في قاعدة جليلة وهي (المعرفة و السلوك)

ملاحظة :

وفي الاخير نجد ابن القيم يعلق على مو ضوع الجمال بقوله : "لكن ضل في هذا الموضوع فريقان فريق قالوا كل ما خلقه جميل فهو يحب كل ما خلقه ونحن نحب جميع ما خلقه فلا نبغض منه شيئا قالوا ومن رأى الكائنات منه رآها كلها جميلة.

وهنا نجد ابن القيم شخصية ثانية غير الخائض في الكلام و العقائد و الاختلافات الفقهية فالإمام هنا على طريقة أهل السلوك كما يسميهم في "طريق الهجريتن "بالقوم ،و يقصد بهم ارباب التصوف و السلوك من

اهل السنة المتقدمين كالجنيد و غيرهم من الأكابر ، فهو هنا موافق لهم في أصول الكثير من المسائل التي منها الجمال مع بقاء النزعة الظاهرية المحتكمة الى ظاهر المنهج الفقهي .

- **الجمال عند ابن حزم:**

ينطلق ابن حزم في تأصيله لفكرة الجمال و الحسن و الحب و المحبة ابتداء بتبريره إلى اعتبار أن فكرة المحبة كأصل هي ذات مصدرية ربانية، فالله هو مصدر الجمال، و قد ربطها بفكرة الحسن و القبح فلا قبيح إلّا ما قبحه الله تعالى و لا حسن إلّا ما حسّنه الله تعالى، فمستحيل أن يصدر من الله تعالى قبح فهو الجميل الذي يحب الجمال ،و قد أوجب من هذه القاعدة أن يتخلق الإنسان بما يحبه الله تعالى و أوجبه و أن يتصف به قولا و فعلا .

و يسوق لنا الفرق بين الجمال و الحسن باعتبار أن الحسن سابق عن الجمال فما كان حسن راق و كان جميل.

كما يقرر ابن حزم في تأصيله لمفهوم الجمال و الحسن من منطلق حسي ثم يتجه إلى الجانب الروحي .

القارئ لكتابه" الاخلاق و السير في مداواة النفوس " ، نجده يصمم لنا رؤية واضحة حول الجمال و الجمال الأخلاقي أشبه بالتنظير الفلسفي، وهو لا يقل أهمية عن كتابه طوق الحمامة ، ابتداء من عنونة الكتاب إلى موضوعاته المتعلقة حول الحب و المحبة و تمثلاتها في الحياة .

يرى أن أساس الجمال و المحبة هو المعرفة فلا جمال و لا معرفة دون معرفة سابقة، و يضيف إليه أن النزوع إلى الجمال و المحبة هو من باب النزوع الفطري المجبول عليه الإنسان فالتوجه و ابتغاء الحُسن من باب الفكرة ، يذكر في كتابه طوق الحمامة:" استحسان الحسن و تمكن الحب فطبع لا يؤثر به و لا ينهى عنه

اذ القلوب بيد مقلبها و لا يلزمه غير المعرفة و النظر في فرق ما بين الخطأ و الصواب و ظان يعتقد الصحيح باليقين ، و أما المحبة فخلقة ، و انما يملك الانسان حركات جوارحه المكتسبة" [1]

يذكر ابن حزم : " الحب اعزك الله أوله هزل و اخره جد جقت معانيه لجلالتها عن ان توصف فلا تدرك حقيقتها الا بالمعاناة"[2]

و إجمال القول أن فكرة الحسن و الجمال عند ابن حزم ذات بعد التزامي بأحكام الشريعة و لا أدل من صنيعة اتجاه المخالفات الشرعية و ان كانت تميل اليه النفوس و لاتي يضبطها باحكام الشرع و لا يتجاوزه .

فكرة الجمال عند المدرسة الصوفية:

ابن عجيبة[3] :

حينما يتحدث ابن عجيبة عن الجمال في تفسيره، نجده في جزئه الإلهي يجمله مع الجلال و المحبة و التعظيم، و يربط ما سبق بحقيقة المعرفة لله تعالى.

ينطلق في تقرير أن الانسان يحب بالضرورة كل ما استحسن عنده، و لا جمال مثل الجمال الإلهي جماله في حكمته في صفاته التي تدرك بالبصائر لا الأبصار.

---

[1]- أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت ٤٥٦هـ)، طوق الحمامة في الألفة والألاف ،تحقيق: د. إحسان عباس، دار النشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت / لبنان، الطبعة: الثانية – ١٩٨٧ م ، ص 145

[2] – ابن حزم طوق الحمامة ، ص 90.

[3] – ارتأينا ايراد ابن عجيبة من الصوفية في موضوعنالا باعتباره فقيها مالكيا في اصل نشأته العلمية ، و له باع كبير عند الصوفية في تقريره لمسائل التصوف فهو من سادة القوم المتأخرين في الطريق ، و لا أدل على ذلك من تفسيره البحر المديد الذي استعنا به في موضوعنا ، فهو يعمد الى المزاوجة بين طيقة المفسرين و الفقهاء من جهة و طريقة الاشارة من جهة أخرى فتتجلى فيه وحدة الجمع بين المناهج .

فإذا استمكن الجمال و المحبة من قلب المؤمن ظهرت آثارها على الجوارح في شكل الطاعة و المناجاة و الانس بالذكر و محبة كل ما يحبه الله تعالى و ايثاره على نفسه، و يستدل بقول الحارث المحاسبي: (المحبة مَيْلُك إلى المحبوب بكليتك، ثم إيثارك له على نفسك و روحك، ثم موافقته سرا وجهرا، ثم علمك بتقصيرك في حبه"

وهنا يتجلى أن المعرفة أعلى من المحبة ، فالمحبة تكون مع بقاء الحجاب و المعرفة لا يبقى معها شيء ، ألا ترى أن المحب يستوحش من الخلق، والعارف لا يستوحش من شيء لمعرفته في كل شيء.

و هو مصداقا لما قرره صاحب الحكم: (إنّما استوحش العباد والزهاد من كل شيء لغيبتهم عن الله في كل شيء، ولو عرفوا الله في كل شيء ما استوحشوا من شيء) [1]

و بذلك يربط فكرة الجمال و الحسن و المحبة بالمعرفة و بذلك يسطر لنا باب المعرفة للوصول إلى حضرة الجمال و الجلال الإلهية.

و يظهر الجمال في حسن كل خلق يخلقه الله تعالى فقال تعالى : { الذي أحسن كل شيء خلقه}(السجدة)

فكل ما أظهره الله تعالى من تجليات كونية فهي في غاية الابداع **كما قال صاحب العينية:**

وكل قبيح، إن نسبت لحسنه ... أتتك معاني الحسن فيه تسارع

يكمل نقصان القبيح جماله ... فما ثم نقصان، ولا ثم باشع

---

[1] – أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت ١٢٢٤هـ)،البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ، المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان ، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة ، الطبعة: ١٤١٩ هـ 1 ص195

و أكمل خلق هو خلقة الإنسان، الذي خلق على صورة الرحمن، حيث جعل فيه أوصافه من قدرة، وإرادة، وعلم، وحياة، وسمع، وبصر، وكلام، وهيأه لحضرة القدس ومحل الأنس، مع تسخير جميع الكائنات، و التهيئة لتحمل الأمانة، إلى غير ذلك مما خص به عبده المؤمن."

و ينقل ابن عجيبة قول الورتجبي: " ذكر حسن الأشياء، ولم يذكر هنا حسن الإنسان غيرة، لأنه موضع محبته، واختياره الأزلي، كقول القائل:

وكم أبصرت من حسن، ولكن ... عليك، من الورى، وقع اختياري"[1]

و الجمال كفكرة تنساب إلى ما يجذب الإنسان في حياته العامة من مستلذات الحياة و رغد العيش، فينطلق من قوله تعالى {قل من حرم وينة الله ...} الاعراف

يعلق على نص الآية متسائلا عمن حرم زينة الله التي هي ما يتجمل به من الثياب أو من الرزق التي هي من الطبيبات و ما يستلذ من الأطعمة و كل طيب، وهو يقرر إلى أن الأصل في المطاعم و الملابس و أنواع التجملات الإباحة لأن سياق الاستفهام في الآية للإنكار، و يسوق لنا أثرا عن الإمام مالك حينما أُنكر عليه بعض ممن سلك طريق الصوفية التوسع في الطيبات من مأكل و ملبس، فكتب إليه رضي الله عنه بالآية ، و هذا الفهم يقرر المستوى الفقهي في التوجيه ابتداء، ثم ينتقل الى القراءة الاشارية الصوفية للآية فقال:" قال شيخنا البوزيدى رضى الله عنه: زينة الله التي أظهر لعباده هي لباس المعرفة، و هو نور التجلي، والطيبات من الرزق هي حلاوة الشهود.

و هي لمن كمل إيمانه وصدقه في الحياة الدنيا، وتصفو له إلى يوم القيامة، فهي حلال على أهل التجريد يتمتعون بها في الدارين، وإنما حرم عليهم ما يشغلهم عن ربهم من جهة الظاهر، وما يقطعهم عن شهوده

[1] – ابن عجيبة ، البحر المديد م 4 ص 389

من جهة الباطن، وسوء الأدب مع الله، والتعرض لعباد الله، والشرك بالله بأن يشهدوا معه سواه، وأن يقولوا على الله ما يوهم نقصا أو خللا في أنوار جماله وسناه. والله تعالى أعلم.

ثم إن العباد والزهاد وأهل البداية من المريدين السائرين- ينبغي لهم أن يزهدوا في زينة الدنيا وطيباتها لئلا تركن إليها نفوسهم، فيثبط سيرهم، وأما الواصلون فهم مع الله، لا مع شيء سواه، يأخذون من الله بالله، ويدفعون بالله، وقد اتسعت دائرة علمهم، فليسوا مع لباس ولا أكل ولا شرب ولا جوع ولا شبع، هم مع ما يبرز في الوقت من المقدورات. والله تعالى أعلم.[1]

و في سياق تفسيره لقوله تعالى : وقالوا يا موسى اجعل لنا الها ..."

يذكر: من جاوز بحر التوحيد وحاد عنه، لا يخلو من طلب شرك جلي أو خفي لأن النفس ما دامت لم تُسْبِها جمال المعاني، قطعا تميل إلى شيء من جمال الحس، لأن الروح في أصلها عشّاقة، إن لم تعشق جمال الحضرة تعشق جمال الحس، و من ركن إلى شيء مما سوى الله فهو شرك عند الموحدين من المحققين، ويؤخذ من الآية أن شكر النعم هو تلخيص التوحيد، وانفراد الوجهة إلى الله تعالى لأن بني إسرائيل لما أنعم الله عليهم بالإنجاء وفلق البحر قابلوا ذلك بطلب الشرك، فسقطوا من عين الله واستمر ذلهم إلى يوم القيامة. والله تعالى أعلم.[2]

و بذلك يتجه ابن عجيبة الى اقرار فكرة الجمال و الحسن بمنظار فقهي و صوفي فهو وقاف عند حدود الشرع فقها، متبحرا في سيقات القراءة و افق الوصل العرفاني تصوفا، و الأمر عنده ان معرفة الحق تستدعي معرفة جماله.

- **ابن عربي :**

---

[1] – ابن عجيبة ، البحر المديد، م 2 ص 212

[2] – ابن عجيبة ، البحر المديد م 2 ص 254

لا نريد الاسهاب في مجال ابن عربي فهو معروف في هذا المجال عند القوم و عند غيرهم باسهابه و تشعباته و لكننا نريد العروج الى مستويات الفكر الجمالي عنده باقتضاب، فهو يجمع رؤيته للجمال في رؤية كلية جامعة بغية الوصول إلى جوهر الجمال الذي هي بمثابة أبعاد كونية و إنسانية و روحية جامعة للظاهر و الباطن شكلا و مضمونا متصلة فيما بينها.

و فكرة الجمال عند ابن عربي عبارة عن نعوت الرحمة و اللُّطف و العلم و غيرها من الحضرة الإلهية ، و بذلك كانت أوصاف الإحسان و الجود و النفع و النعم تعبيرا عن آثار الجمال الألهي.

و يذهب الى اعتبار أن الحق سبحانه و تعالى مصدر الجمال الوحيد الذي لا يقاسمه معه أحد ، فالله { أعطى كل شيء خلقه}

يقول : كل شيء يستمد جماله من الحق ...و العالم قد حاز الحسن الالهي و ظهر به .. وهو مرآة الحق ... فما رأى العارفون فيه الا صورة الحق ، و هو سبحانه الجميل "

و ينتقل الى فكرة عدم تقبل وجود القبيح في الكون باعتبار أن القبح عارض لا وجود له الا بالاعتبار و انتفاؤه بسبب شمولية الحسن المطلقة يقول : " فالعالم كله في غاية الجمال ما فيه شيء من القبح "[1]

فابن عربي يحدد أن الجمال في أصله لا يُرى لكنه يُكتشف في الكون و هو جمال لا يرى و إنما تراه القلوب النيرة من خلال التجليات على قلب المؤمن، ليكون الأثر: الرحمة و الرأفة و الاحسان ، و لكن التجلي الحقيقي للجمال الحق يكون على قلب المؤمن فينتج لنا الهيبة و التي هي حالة للقلب يعطيها أثر تجلي جلال الجمال الالهي، و الهيبة أثر ذاتي للحضرة إذا تجلى جلال جمالها في القلب، و هي عظمة المتجلي له في قلبه إذا أفرط يذهب حاله و نعته و لا تزيل عنه، و بالتالي هيبة المخلوق أما عظمة و تجلي الخالق عبر

[1] – قدور رحماني حقيقة الجمال عند ابن عربي مجلة الخطاب جامعة المسيلة المجلد 4 العدد 5 ،2009، 2009/01:06، ص 335-336 بتصرف.

الجمال الحق و إدراكه عبر القلوب ، و هي مصداق لقوله تعالى: { **فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا و خر موسى صعقا فلما افاق قال سبحانك تبت اليك و أنا أول المومنين**} الاعراف، و سياق النص يسير إلى " أن الهيبة حالة للقلب يعطيها أثر تجلى جلال الجمال الإلهي لقلب العبد فإذا سمعت من يقول إن الهيبة نعت ذاتي للحضرة الإلهية فما هو قول صحيح ولا نظر مصيب وإنما هي أثر ذاتي للحضرة إذا تجلى جلال جمالها للقلب وهي عظمة يجدها المتجلي له في قلبه إذا أفرطت تذهب حاله ونعته ولا تزيل عينه فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ ذلك التجلي دَكًّا فما أعدمه ولكن أزال شموخه وعلوه وكان نظر موسى في حال شموخه وكان التجلي له من الجانب الذي لا يلي موسى فلما صار دكا ظهر لموسى ما صير الجبل دكا ف خَرَّ مُوسى صَعِقاً لأن موسى ذو روح له حكم في مسك الصورة على ما هي عليه وما عدا الحيوان فروحه عين حياته لا أمر آخر فكان الصعق لموسى مثل الدك للجبل لاختلاف الاستعداد إذ ليس للجبل روح يمسك عليه صورته فزال عن الجبل اسم الجبل ولم يزل عن موسى بالصعق اسم موسى ولا اسم الإنسان فأفاق موسى ولم يرجع الجبل جبلا بعد دكه لأنه ليس له روح يقيمه فإن حكم الأرواح في الأشياء ما هو مثل حكم الحياة لها فالحياة دائمة في كل شي ء"[1] و بذلك تتجلى الجمالية عند ابن عربي من خلال العرفانية المتمثلة في الجلال و الهيبة و الحسن و اللطف كما أكد أثرها على القلب و العين ذكر :

إن الجمال مهوب حيثما كان لأن فيه جلال الملك قد بانا

الحسن حليته و اللطف شيمته لذلك نشهده روحا و ريحانا

فالقلب يشهده يسكو بخالقه و العين تشهده بالذوق انسانا [2]

خاتمة :

[1] - الفتوحات المكية / م 2 ص https://ketabonline.com/ar/books/102779/read?page=1304&part=2#p-102779-1304-6

[2] – بن سهلة يمينة ،جماليات الجسد في الفكر الفلسفي تمثلاته و تجلياته في الثقافة الاسلامية ، رسالة دكتوراه، جامعة وهران ،2015-1016 ص 236-237 بتصرف

يلعب الكثيرون على وتر الجفاف الاسلامي من فكرة الجمال ومشتقاته، صانعين بذلك هالة من التشويش على أبعاد التنظير الاسلامي غير المتماشي مع الاحساس و الشعور ، طابعين صورة الخشونة و العنف كسبب مباشر المساهم في بناء الشخصية الاسلامية الجافة شعوريا.

و بما سبق بيانه تم اعطاء ومضة صغيرة على معيارية حضور الدرس الجمالي تنظيرا وممارسة بين تيارين من واقع الحال في صدام متعدد الاوجه على مستوى الردود و المفترض انطلاقهما من رؤى معرفة مختلفة ، و واقع الحال أن الدرس الجمالي سجل حضورا واسعا عند كليهما بما يعطي لنا انطباع تأصيل الفكرة في المصدرية المعرفية و المرجعية الجامعة لهما وهي " **القرءان و السنة** "، و تبقى طريقة القراءة على مستويات التنتظير و أصول الممارسة حبيسة واقع النظر و افق التطلع دون نسيان وقائع الحياة و مدى ملائمتها لانبعاث مستويات الجمال الى العقل الفردي و المجتمعي .

ان كل من الفقيه و الصوفي يكرسان لفكرة الجمال اعترافا وجوديا نابعا من الحس الايماني العميق الذي يصاحب صريح النصوص القرءانية و التوجيهات النبوية.

المراجع :

– ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي القرطبي الظاهري (ت ٤٥٦هـ)، طوق الحمامة في الألفة والألاف ،تحقيق: د. إحسان عباس، دار النشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت / لبنان، الطبعة: الثانية – ١٩٨٧ م

– ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت ١٢٢٤هـ)،البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ، المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان ، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة ، الطبعة: ١٤١٩ هـم

- ابن قيم الجوزية، كتاب الفوائد، تحقيق محمد عزيز شمس، دار عطاءات العلم الرياض ط4 1440،2019 .

- بن سهلة يمينة ،جماليات الجسد في الفكر الفلسفي تمثلاته و تجلياته في الثقافة الاسلامية ، رسالة دكتوراه، جامعة وهران ،2015-1016

- عبد الفتاح قعله رواس جه - مدخل الى علم الجمال ،دار قتيبة ، ط1991،1411،1.

- قدور رحماني حقيقة الجمال عند ابن عربي مجلة الخطاب جامعة المسيلة المجلد 4 العدد 5 ،2009، 2009/01:06.

- قسم علم الكلام في مجمع البحوث الاسلامية ، شرح المصطلحات الفلسفية ، دار البصائر ط1 1414، طهران ،

المواقع الالكترونية :

- الفتوحات المكية / م 2 ص https://ketabonline.com/ar/books/102779/read?page=1304&part=2#p-102779-1304-6